العسكرى فوق الجميع

السبت 23 يونيو 2012 12:06 م

حازم سعيد :

موضوع هذه المقالة هو ما فعله المجلس العسكرى الأسبوعين الماضيين من انتهاك واضح وصارخ للقانون ، وانقلاب خشن وغشيم – وليس بناعم – على الثورة تمثل فى مجموعة من القرارات الفجة بدءاً قانون الضبطية القضائية والذى يعد انتكاسة وردة لعصر مبارك ، أو بالأدق لعصر جمال عبد الناصر والجنرالات ، مروراً بحل مجلس الشعب فى تلكيكة – يعنى ما صدقوا الدستورية قالت كلام نفذوه فى بلد لم تعهد أبداً مثل هذه السرعة لا من الدستورية ولا من التنفيذين الذين يحكمونها - ، وكذلك الإعلان غير الدستورى المكمل الذى أكد رغبات العسكر فى التغول ، وانتهاءاً بتأخير نتائج الانتخابات الرئاسية التى بات من المعلوم للقاصى والداني فوز الدكتور مرسى بها .

كل هذا لنا معه مجموعة من الوقفات :

أولاً : دوافع العسكر :

دوافع العسكر – فى رأيي – فيما ارتكبوه من جناية لا تخرج عن اتجاهين أحلاهما مر – أو خطيئة - ، الأول : دوافع حب السلطة والبقاء فيها مع تأمين أنفسهم ضد المحاكمات وخلافه بالتواجد فى سدة الحكم وفى المشهد ، وهذا الدافع لا يحتاج لمناقشة ، حيث لا يمكن أن تناقش فرعون المؤسسة فى فشل سعيه ، بعد أن قمت بثورة لتزيح فرعون الفرد ، وكان على العسكر ان يتعظوا من مشهد سابقهم ومن طريقة خلعه ، ومن المهانة التى تعرض لها وهو فرد ، فما بالك وهم مؤسسة كيف سيكون أخذه وخلعه أليماً شيداً موجعاً !
الدافع الثاني : هو ما أوهمه به البعض من أن ذلك فى مصلحة البلد – هذا فى حالة أحسنا الظن بهؤلاء العسكر ، وأميل لألا أحسن - وبالطبع لا يمكن أن أحسن الظن بأولئك الذين أوهموه ، وهم بعض العلمانيين الأقحاح من أمثال يحيى الجمل ، والوحيد الذى أشم رأئحته فى هذا المشهد المؤذى هو يحي الجمل ، ولا زلت أذكر له موقفاً صنعه – وهو داعية الحرية – مع منتقبة طالبة له حين نهرها ، وكانت تجلس بالصفوف الأولى بمدرج جامعته وأمرها ألا تحضر له لأنه يكره هذا الزى وهذه الهيئة ، فى وقت كانت مثل هذه المنتقبة تتعرض لأقسى حالات القهر والاضطهاد ، وكان يزعم أنه من دعاة حرية الرأى والمعتقد .
أقول أن أمثاله أوعزوا للعسكرى أنه إذا جاء الإسلاميون لسدة الحكم فلسوف يسيطرون على كل شئ يكون معهم البرلمان ثم يشكلوا الحكومة ويكون منهم الرئيس ، فلابد من خطوات استباقية لضمان حيادية البلد وعدم تغول أحد فيها ، لذا لابد من السيطرة على تأسيسية الدستور ، وحل مجلس الشعب والحد من صلاحيات الرئيس القادم .
وصدقه العسكرى – هذا إن أحسنا بهم الظن – وبناءاً عليه قاموا بما قاموا به من مكر خبيث وكيد مفضوح .
وفات هؤلاء وهم يصنعون هذا الوهم ، أن الدستور لا يضعه الإسلاميون ولا الإخوان وحدهم ، وأن تسعة أعشار الدستور متفق عليه من كافة القوى ، وأن مساحة الحرية وطريقة تداول السلطة التى توضع بالدستور هى العاصم الوحيد من أي تغول لأي جهة كائنة من كانت .

ثانياً : خطأ منطق الوصاية :

ثم إن ما يصنعونه – لو أحسنا بهم الظن – هو تغول ، فلا يقبل التغول اليقينى القطعي أبداً لمواجهة التغول المظنون المفترض الموهوم ، لو أنك تخاف من تغول الإخوان أوالإسلاميين أو غيرهم ، فساعد على بناء الديمقراطية الحقة فى البلد يا أيها الجمل أنت والعسكري واحترموا المؤسسية فى التصرف والقرارات واحترموا الشورى والديمقراطية ، خاصة ونفوس الناس لم تعد مهيئة للذل أو الهوان بعد ثورتهم المجيدة .
إن منطق الوصاية الذى تعامل به العسكر حتى لو كانت دوافعه حسنة هو منطق فرعوني متعالى ، يتناسب مع أمثال الجمل وغيره ممن ساهم فى تفصيل هذه القرارات الفاشلة ، إحساس أنك أعلى من الناس فترسم لهم خط سيرهم وتقرر لهم مصيرهم .
لماذا مثلاً لو أنك تخاف من تغول الإخوان والسلفيين وتخشى من عدم احترام أحكام القضاء كما تدعى فى بيانك ، لماذا لم تحترم الشعب ، وبدلاً من أن تنصب نفسك وصياً عليه ، كان يمكنك أن تطرح عليه استفتاءاً ليقرر هل يحل البرلمان أم لا ، وكان يمكنك أن تطرح عليه استفتاءاً بمكملاتك غير الدستورية الفاشلة ، كما فعلت ذلك أيام التعديلات ، لماذا استبدلت فكرة احترام الشعب وأن يكون هو صاحب

القرار إلى التغول وتنصيب نفسك ولياً عليه . أنا أعرف لماذا وأجيبك عليها إن شاء الله فى النقطة ثالثاً .
إنه تغول وعدم فهم لطبيعة الدور الذى رضيت القوى الوطنية للعسكرى أن يمارسه ، بل حتى لم يتفق عليه الجميع وظل الكثير معارضاً له ، وهو دور رجل الأمن المؤقت الذي يسلم البلد لأصحابها فى ظل تخاذل سابق للداخلية ، ولم يخرج الدور عن هذا ، فكيف لك أن تنتزع صلاحيات ليست لك مهما كانت دوافعك ، ومن أعطاك الحق لتخرج عن ذلك الإطار ؟!
إن نبل الغاية – إن فرض وجودها – لا تشفع أبداً للفرعونية ولا تبرر أبداً الانقلاب على الشرعية ، ولا تضعك فى مكانة تنصيب نفسك وصياً على شعب عريق قام بثورة لخلع فرعون فرد لتأتي أنت وتجعل من نفسك فرعون المؤسسة الذى يحكم ويشرع . هذا ما لن يكون ، ولو بدمائنا ، وقد تركنا بيوتنا وأعمالنا ولن نعود إلا ونحن مرفوعى الرأس كرماء أو جثث هامدة راضين بكرامة الدنيا والآخرة والاستشهاد فى سبيل غايتنا السلمية الشريفة ..

ثالثاً : رهان العسكر على الفرقة وطول ما فعلوه السنة الماضية :

أعلم السبب الرئيسى الذى جعل العسكرى يتجرأ وينقلب على احترام الشعب إلى وصى عليه – بخلاف اللعب فى ودانه من العلمانيين الأقحاح – وهو يتمثل فى رهان العسكرى على الجهد الذى بذل طوال السنة الماضية والذى تأجج بعد مجلس الشعب من محاولات الدس والفرقة بين عناصر واتجاهات الثورة .
لقد بذروا الشقاق والفتنة بين القوى الوطنية والاتجاهات الثورية جميعها ، وأظهروا الإخوان والإسلاميين فى خندق المتآمر معهم وعاقد الصفقة ، مع أنهم ظلوا يضربونهم فى ظهرهم من خلال وسائل الإعلام الخبيثة الممالئة لهم ، ومن خلال تضييق الخناق على البرلمان بحكومة لا تنفذ قوانينه ولا تحترمه ، ومن خلال جهاز (أمني أو مخابراتي) ينشر الشائعات والتسريبات فى كل أنحاء مصر بطريقة مكثفة حتى لا يكاد يخلو منها شارع ولا زقاق .
وأصبحت فرص الإسلاميين فى الرئاسة ضيقة ، وأصبحت فرص التوحد بين القوى الثورية منعدمة – هكذا ظنوا – وفق تقديرات خائبة .
هذا الجهد ، لو أنا نتعامل بمنطق البشر والأسباب المادية ما كان له أن يخيب أبداً ، فما الذى تغير فى المعادلة ليخيب الظن بهذه الصورة ؟
لقد توحدت قوى الثورة والوطنيون الشرفاء ، وعاد الميدان من جديد بنبضه ، وعادت روح الاستشهاديين السلميين الذين جاؤوا للميدان بنبض الشهادة وبنفس الروح السلمية الرائعة الهادرة التى كان عليها الميدان منذ انطلاق شرارة الثورة الأولى .
لقد أصبح الميدان والقوى الوطنية كلها على قلب رجل واحد توج ذلك بالحالة الرائعة بالميدان وما تبعها من مؤتمر الوحدة للقوى الوطنية وما انبثق عنه من قرارات عصر الجمعة 22/06/2012 ، ليسقط فى يد العسكرى ومن عاونه وأوعز إليه تلك القوانين الفاشلة ، ومن قوى فى نفسه الظن بالرهان الفاشل الذى راهن عليه .
ما الذى حدث ليخيب الرهان بهذه الصورة ؟ أجيبك فى النقطة التالية .

رابعاً : الله القوى القادر القاهر :

لقد غاب عن هؤلاء العسكر أن لهذا البلد رب يحميه ، يدبر أمره وهو فوق مكر الماكرين لأنه سبحانه هو القوى القادر القاهر الجبار العظيم مالك الملك .
وهنا أستحضر بعض آيات من القرآن الكريم ، ذلك الكتاب المعجز الذى لا تنتهى عجائبه ، أقرؤها عليكم بلا تعليق ولا حتى تفسير داعياً إياكم أن تتدبروها ، وتستمسكوا بها وتوقنوا بهذا الدين المجيد ، وهذا الكتاب المعجز ، أقرأ هذه الآيات وأعجب كيف لعجلة الزمان أن تدور لينطبق علينا ما انطبق على القرون الآولى فى تسلسل عجيب ، وفى إعجاز لهذا الكتاب الذى هو كلا م رب الكون سبحانه ، اسمع واقرأ وتدبر :
" ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون (50) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين (51) فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون (52) وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (53) " (النمل من 50- 53) .
" كَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ "(الأنعام 123) .
" وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ " (إبراهيم : 46 ، 47) .
" قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ " (النحل 26) .

خامساً : العسكر وحدونا وأنتجوا الثورة من جديد :

بعد أن تقرأ هذه الآيات وتعجب من قدرة الله سبحانه الذى قلب الكيد والدس والتآمر ، لهذه الوحدة والتوافق الوطني العالى ، عد إلى أسباب الدنيا بعد التسليم لله القوى العزيز المقتدر ، وانظر لشرف هؤلاء الوطنيون من أمثال 6 أبريل ومنظمات الثورة الأخرى وكذلك الشخصيات الوطنية التى تمثل رموزاً للعمل الوطني ، وانظر كيف غلبوا صوت العقل والمنطق وحب الوطن وتساموا فوق خلافاتهم وكان نكران الذات والتآخى والاتفاق والعمل فى وضوح النهار وسطوع الشمس .
عكس أولئك المتآمرين الذين همسوا فى ظلمة الليل الدامس للعسكرى وتواطئوا معه فخاب سعيهم ودمر الله كيدهم ، وانقلب تدبيرهم تدميراً لهم ، وباتت مؤشرات الثورة ضدهم ، ونجاحها فى خلعهم .
فهل يستفيقوا قبل أن يجرفهم الطوفان كما جرف من قبلهم ؟ وهل يعودوا للعقل والمنطق قبل أن لا يملكوا قدرة العودة ؟ أتمني .

Hazemsa3eed@yahoo.com